

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله كما علمنا أن نحمد ، يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، وصلى الله وسلم على رحمته وخاتم رسله نبي الهدى والرحمة سيدنا محمد ﷺ الأسوة الحسنة والقُدوة الطيبة لبنى آدم حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وبعد : فلقد عشت في رحاب كتاب الله لأجد أن الإنسان ذكرًا كان أم أنثى أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد . إنه إنسان بنفخة من روح الله، إنه إنسان سخر الله له ما الأرض ؛ لذلك فإن عاش الإنسان في رحاب الله وفي إطار منهج الله فإنه يعيش هادئ النفس مطمئن السريرة قرير الضمير ، فيد الله تعمل ، وليس لنا أن نستعجلها ولا أن نقترح على الله شيئاً ؛ فالمنهج الإلهي نظم وشرع لكل أمور حياتنا البشرية ؛ لأنه موضوع ليعمل في كل بيئة وفي كل مرحلة من مراحل النشأة الإنسانية وفي كل حالة من حالات النفس البشرية ، إن المنهج الإلهي موضوع لهذا الإنسان الذي يعيش على الأرض ، ذكرًا كان أو أنثى ، مع الأخذ في الاعتبار فطرة هذا الإنسان وطاقاته واستعداداته وقوته وضعفه وحالاته المتغيرة التي تعترضه .

إن المنهج الإلهي يأخذ بيد الإنسان ؛ ليرتفع به إلى أقصى درجات الكمال المقدر له بحسب تكوينه ووظيفته ، ويحترم ذاته وفطرته ومقوماته .

وإذا كانت المرأة قد شاءت لها الأقدار على مر العصور وفي مختلف الحضارات أن تهان وتستذل وتحقر وتضطهد ، وأن يستأثر الرجل بكافة الحقوق والمزايا إلى أن جاء الإسلام فحظيت المرأة في ظله بتقدير لا مزيد عليه ، وتكريم لا حدود له .

لذلك كانت هذه الموسوعة التي تدور حول المرأة في ظل المنهج الإلهي ، في ظل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والتي تعتبر حصاد عمري وجهادي ، وحصيلة قراءاتي وكتاباتي في إطار الكتاب والسنة ولعلّي أكون قد وفيت حق إيماني ، وأديت واجب عرفاني .

ويدور الجزء الأول من هذه الموسوعة « عن الحقوق العامة للمرأة » بدءًا بتفصيل حالة المرأة في عهود ما قبل الإسلام ؛ لكي تعرف المرأة كيف كرمها الإسلام وأعلى شأنها وأعاد إليها كرامتها وسيادتها ، بعد أن كانت على مر العصور قبل الإسلام مهينة ذليلة

لا وجود لها ولا كيان ، سواء عند اليونان ، والرومان أو عند الهنود والصينيين ، أو في أوروبا المسيحية أو في ظل الديانة اليهودية .

فرغم أن اليونان كانوا من أرقى الأمم وأزهرها تمدنا في التاريخ ، وكان من فلاسفتهم أرسطو وأفلاطون ، فإنهم كانوا يعتبرون المرأة من المخلوقات المنحطة التي لا تنفع لغير دوام النسل وتدبير المنزل .

وجاء الرومان بعد اليونانيين ، ورغم تقدمهم وازدهارهم فإن التشريع الروماني اعتبر أن المرأة متاع مملوك للرجل ، وسلعة من السلع الرخيصة يتصرف فيها كيف يشاء أن الأنوثة سبب من أسباب انعدام الأهلية .

وجاء في تشريع مانو إله الهند أن الوباء والموت والجحيم والأفاعى والنار خير من المرأة .

وجاء في رسالة قديمة كتبها إحدى سيدات الطبقة العليا بالصين قولها : نشغل نحن النساء آخر مكان في الجنس البشري ، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال . ورغم أن اليهودية دين سماوى فإن اليهود آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، فاعتبرت بعض الطوائف اليهودية البنت في مرتبة الخادم ، ولأبيها الحق في أن يبيعها وهى قاصر . وفى أوروبا المسيحية كانت نظرتهم للمرأة أنها ينبوع المعاصى وأصل السيئة والفجور .

أما حالة المرأة في الجاهلية قبل الإسلام فيكفى أن نقول إن وأد البنات انتشر بين معظم القبائل حتى جاء الإسلام فكان تقديره للمرأة كاملاً شاملاً ، وهو تقدير نابع من النظرة الموحدة للكون كله ، فالكون وحدة متكاملة خلقها إله واحد ، ورب واحد ، وتساوت المرأة بالرجل في التكليف والحساب ، وفى الثواب والعقاب ، وفى المسئولية عن الأعمال الصالحة ، والأعمال الطالحة فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل الرجال والنساء على السواء ، وجعل الله عز وجل معيار الأفضلية والتكريم والتميز هو التقوى .

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقَكُمْ ﴾ ^(١)

وكفل الإسلام للمرأة حرية الاعتقاد ، فلا اكراه في الدين ، وجعل القرآن الكريم للمرأة الحق في المبايعة على السمع والطاعة والقيام بحدود الشريعة وأحكامها ، وجعل الإسلام للمرأة الحق في أن تشير وأن تستشار ، ورسول الله ﷺ نفسه أخذ بمشورة السيدة أم سلمة في موقف عصيب عقب توقيع صلح الحديبية . وللمرأة الحق في نقد

(١) سورة الحجرات ، من الآية : ١٣

زوجها ومراجعتة فزوجات النبي ﷺ كن يراجعنه ويناقشن أوامره ، وتهجره الواحدة منهن اليوم إلى الليل وشاركت المرأة في الهجرة إلى الحبشة وهجرة بيعة العقبة الثانية والهجرة الكبرى إلى يثرب .

وشاركت المرأة في الجهاد على عهد رسول الله ﷺ لخدمة الرجال وتمريض الجرحى ، وكان رسول الله ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد السفر لغزو أو حج . ولم يقف التشريع الإسلامى بالمرأة عند حد إباحة خروجها مجاهدة ، بل احترم أمانتها ، فلها الحق في الإجارة والأمان وفي الخصومة والتقاضى ، فتكون مدعية ومدعى عليها ، وشاهدة ومشهودا عليها منفردة ومجتمعة وساوت الشريعة بين الرجل والمرأة في الدماء ، فالرجل يقتل بالمرأة ، والعقيقة للذكر والأنثى على السواء ، وأعطى القرآن الكريم المرأة الحق في التملك ملكا خاصا بها ، وهى صاحبة السلطان في إدارته والتصرف فيه ، وليس للرجل حق التصرف إلا بإذنها ورضاها ، ولها الحق الكامل في الميراث أما وأختا ، وزوجه وبنتا ، واعتبر الصداق حقاً خالصاً لها .

ثم نتحدث : عن حق المرأة في التعلم والتعليم . لقد سعت المرأة المسلمة إلى العلم منذ بداية عهد النبوة تتعلم من عقائد دينها وآدابه وعباداته ، وتتعلم ما ينفعها في نظام بيتها وتربية أولادها ، وما يؤهلها لوظيفة الزوجة والأم . إن الإسلام يجعل العلم أساسا لخير البشرية ، ويجعل العلم في إطار الأخلاق ، وبذلك يكون العلم قربى وعبادة إلى الله .

لذلك يجب أن يكون العلم باسم الله ، وفي إطار ما جاء بكتاب الله وسنة رسوله ، وليس باسم حضارة المادة والجنس ، حضارة الغرب التى تسير على مبدأ أن العلم لا صلة له بالأخلاق . وإذا كان التعلم والتعليم باسم الله فيجب أيضا أن يكون كل شئ باسم الله : قراءاتك باسم الله ، تحركك وعملك باسم الله ، حتى تكونى أيتها الأخت المسلمة موصولة بالله في كل أمور حياتك وسكناتك .

ويجب على المرأة المسلمة وهى تعلم جيلا من الفتيات وتربيهن ألا تغفل دينها عن منهج تربيتها ؛ حتى لا ينفصل العلم فى أى فن من فنونه ولا فى أى لون من ألوانه عن الله .

ثم نواصل الحديث عن المنهج الإسلامى لخروج المرأة للعمل :

إن للمرأة مهمة تختلف عن مهمة الرجل ، فمن سنن الله سبحانه وتعالى أن تكون المرأة صالحة للحمل والولادة والإرضاع والحضانة ؛ لتحقيق ثمار الزوجية والأمومة ، وأن يكون الرجل صالحاً لأعمال التكسب في الخارج ونحوها .

والله سبحانه وتعالى خالق الرجل والمرأة قد هيا كلا منهما وأعد له وظيفة خاصة ، ومنحه الاستعدادات اللازمة لأداء هذه الوظيفة ، فزودت المرأة بالبرقة والعطف وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة والأمومة . وزود الرجل بالخشونة والصلابة وبطء الانفعال واستخدام الوعي والفكر .

لذلك فإن المرأة تتعامل مع أرقى الأجناس : تتعامل مع الزوج بالمودة والرحمة والعطف ، وتتعامل المرأة مع الإنسان جنيناً في بطنها ، ثم ولداً تحتضنه وترضعه ؛ لتخرجه إلى الحياة مزوداً بكل المثل والقيم والمبادئ . وعليه فإن المرأة بتكوينها الجسدى والفكرى والوجدانى مهياة لأعظم وظيفة ، وهى وظيفة الزوجة والأم .

إن البيت هو المكان الطبيعى لتحقيق المقاصد العليا الروحية والاجتماعية التى أرادها الله عز وجل بخلق الأنثى . وعليه فلا يجوز لها الخروج من بيتها إلا لمصلحة ولضرورة . إن العمل فى حد ذاته مشروع غير محرم على المرأة ، مادام فى غير معصية ، وبشرط ألا يستغرق وقتها وفكرها ووجدانها ، وبها لا يخرجها عن خصائصها ومقتضيات مهمتها الأساسية كزوجة وكأم ، وأن يكون ذلك لضرورة ، والضرورات تقدر بقدرها ؛ فإن تعليم البنات ، وتطبيب النساء ، والتمريض وما إلى ذلك من أمور ينبغى أن تقوم بها المرأة وقد وضع الإسلام الضوابط للضرورات الملجئة لخروج المرأة للعمل ، سواء كانت ضرورات فردية كمرض الزوج أو عجزه عن العمل أو وفاته وترمل زوجته فى وقت لا يوجد لها عائل مع عجز المجتمع عن إعالتها ، أو ضرورات اجتماعية كالتدريس للفتيات وتطبيب النساء وتمريضهم .

وهكذا نجد أن الإسلام فى كل أمور الحياة وضع المرأة موضع التقدير والاحترام ، موضع التبجيل والتكريم ، والله أسأل أن يوفق نساء المسلمين لأن يكن محلاً لهذا التقدير وهذا الاحترام ، والله ولى التوفيق ، والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

صلاح عبد الغنى محمد